٣٠٩٥٦

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ الجمهورية العراقية
رئيس مجلس الادارة الدكتور محسن خليل الموسوي

دار الحرية

المجلد التاسع عشر
ربيع ١٩٩٠
العدد الأول

رئيس التحرير طراد الكبيسي

سكرتيرة التحرير هدى شوكت بهنام

www.dorat-ghawas.com

المحتوى

البحوث والدراسات

١ ـ الشعر الجاهلي في ضوء نظرية باري لورد ..... د. عادل سليمان ٥ ـ ٢٠

٢ ـ قراءة جديدة لـ (عيار الشعر) لابن طباطبا ..... طراد الكبيسي ٢١ ـ ٢٧

٣ ـ الاصول الاكدية لعدد من المفردات والمصطلحات المندائية ..... د. صبيح مذلول ٢٨ ـ ٣٥

٤ ـ الغزالي من الاكاديمية الانسايكلوبيدية ..... مدني صالح ٣٦ ـ ٤١

٥ ـ الخط والريازة في العمارة العربية الاسلامية ..... محمود حمدي ٤٢ ـ ٤٧

٦ ـ جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي ..... د. نافع توفيق العبود ٤٨ ـ ٥٥

٧ ـ كتاب الفخري في الاداب السلطانية لابن الطقطقي ..... د. ناجي التكريتي ٥٦ ـ ٦٩

٨ ـ الجانب العلمي في كتاب الحيوان للجاحظ ..... د. جليل ابو الحب ٧٠ ـ ٧٦

٩ ـ المنسوجات والسجاجيد العربية الاسلامية ..... د. صلاح حسين العبيدي ٧٧ ـ ٨٤

١٠ ـ الشعراء السفراء في عصر ما قبل الاسلام ..... احمد اسماعيل النعيمي ٨٥ ـ ٩٩

النصوص المحققة:

١١ ـ اعلام النساء في الاندلس من كتاب التكملة لابن الابار ..... د. منجد مصطفى بهجت ١٠٠ ـ ١٢٤

١٢ ـ مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب ـ القسم السابع والاخير ..... د. حاتم صالح الضامن ١٢٥ ـ ١٥٥

١٣ ـ رسالة ابن قتيبة في الخط والقلم ..... هلال ناجي ١٥٦ ـ ١٧٠

١٤ ـ يحيى بن ماسويه في الجنين وكونه في الرحم ..... محمود الحاج قاسم ١٧١ ـ ١٧٣

١٥ ـ أنشاد النابغة امام النبي (ﷺ) ..... د. مخيمر صالح ١٧٨ ـ ١٨٣

١٦ ـ الكتاب ـ الكتاب سيبويه ـ مقدمة الكتاب ..... د. محمد كاظم البكاء ١٨٤ ـ ٢٠٦

الفهارس والبيليوغرافيات

١٧ ـ الشعراء التعليميون والمنظومات التعليمية ..... د. رزوق فرج رزوق ٢٠٧ ـ ٢٢٦

١٨ ـ مصادر الصغاني وموارده لمؤلفاته اللغوية ..... د. احمد خان ٢٢٧ ـ ٢٤٣

ندوات

١٩ ـ عبد الحق فاضل ـ الباحث اللغوي ..... د. محمد الطوكي ٢٤٤ ـ ٢٤٩

رأي

٢٠ ـ اللام المفخمة فونيماً ..... سعيد الغانمي ٢٥٠ ـ ٢٥٢

عرض ونقد

٢١ ـ كتاب الدلائل للحسن بن البهلول ..... د. كمال السامرائي ٢٥٣ ـ ٢٥٥

٢٢ ـ قراءة في كتاب ـ فصول التماثيل في تباشير السرور ..... د. يونس أحمد السامرائي ٢٥٦ ـ ٢٦٨

٢٣ ـ ملاحظات على ما أنفرد به القراء ..... د. علي حسين البواب ٢٦٩ ـ ٢٧١

٢٤ ـ تصحيح كتاب التعريف لابي عمرو الداني ..... د. حسام النعيمي ٢٧٢ ـ ٢٨٠

مناقشات وإستدراكات

٢٥ ـ تعقيب على مفهوم التراث العلمي العربي ..... طاهر التميمي ٢٨١ ـ ٢٨٦

٢٦ ـ إستدراكات على (بيليوغرافيا عن الرحلات الى العراق) ..... سلمان هادي طعمة ٢٨٧

٢٧ ـ اخبار التراث العربي ..... اسامة ناصر النقشبندي ٢٨٨ ـ ٢٩٢

٢٨ ـ ندوات حول التراث ..... هدى شوكة بهنام ٢٩٣ ـ ٢٩٧

٢٩ ـ رسائل جامعية ٢٩٨

www.dorat-ghawas.com

تعقيب عرضي على بحث

مفهوم التراث العلمي العربي

للمرحوم د. ياسين خليل

المنشور في مجلة المورد التراثية، العدد ٣، المجلد ١٨
١٤١٠هـ/ ١٩٨٩، ص ٣٦ - ٤٠

طاهر جاسم التميمي

باحث علمي متقاعد

أولاً: ملاحظ تمهيدية:

١ - اثار عنوان البحث اهتماهي فقرأته غير مرة لاستشف قصد الكاتب الكريم من خلال سطوره وما تحمله من افكار ومعان، غير أنني لم اقع على ضالتي، ولم أجد الا نتفاً وتفاريق من مترادفات لغوية واصطلاحية جاء معظمها على غير مضمونه اللغوي الاصطلاحي الدقيق.

٢ - جاء البحث مبتوراً، لم يبلغ نهايته التي أشار اليها العنوان، وقد تكون ثمة صفحات قد سقطت عند الطباعة، أو ان الباحث الكريم رحمه الله قد اراد بهذا التمهيد لما يأتي كجزء ثان متمم لما ابتدأه. وهو الغالب عندي.

٣ - اطلقت لفظة بحث من باب المجاز التقريري على أساس ما اعتمده الباحث الفقيد من تبويب لمنهجيته وتفريعاته...)

غير ان الحق ان ما قرأته لايخرج عن نطاق المقالة العلمية الرصينة بكل ما في المقالة من دلالة لغوية واصطلاحية.

٤ - اشارتكم الى المادة كونها دراسة فيها مجانبة للصواب والامانة العلمية، لأن الدراسة كالبحث لها قواعدها وأصولها ومنهجيتها سواء في الجانب الشكلي أو في الجانب الموضوعي الذي يمثل العمود الفقري للمادة الدراسية، أو قيد البحث، وموضوع زميلنا الفقيد لايرقى الى مستوى البحث أو الدراسة البتة عدا كونه مقالة (قيمة).

ثانياً: بعض الاستدراكات العلمية:

١ - أغرق الزميل الباحث رحمه الله باستطرادات واسترسال، اراد من خلالها الوقوف بنا عند تعريف جامع ولكنه غير مانع لماهية التراث في معناه اللغوي والاصطلاحي ومدلوله الحضاري، فتداخلت عنده العموميات والخصوصيات والذاتي والموضوعي ولم يستطع أن يدلنا على القصد النهائي من خلال التداخل الوظيفي المادي والاعتباري لمعنى التراث، فهو اذ ينظر اليه بصفته الشائعة [في اللغة «ان التراث» مصدر لفعل ورث، ومعناه ما يخلفه الميت لورثته، الميراث تركة الميت...] نجده يقول [ولكننا نجعل من لفظة التراث مصطلحاً علمياً ننقله من معناه الاصلي لتكسبه معنى جديد. ولذلك ستسير مخطوطات متلازمة لتعيين معنى التراث بدقة تامة... لنبدأ بالقول ان التراث هو ما يخلفه الاسلاف لورثتهم من الابناء... بغض النظر عن قيمته المادية والمعنوية، وهذا يدل بوضوح على ان التراث مجرد تركة... فليس التراث تركة مادية يخلفها الاباء لابنائهم... ولا يمكن ان تكون التركة المادية مرادفة للتراث، والتركة مجموعة من المخلفات المادية التي قد لايكون لها قيمة معنوية"...] ثم نجده مرة أخرى يربط بين التركة والشعب الذي خلفها في مرحلة من مراحل تطوره الحضاري والتاريخي، وكون هذه التركة ذات قيمة مهمة... وقد اشترط لربط التركة بالتراث توفر عاملين، عامل الزمان والمكان، وعامل القيمة التأريخية والحضارية... ثم ينحو

www.dorat-ghawas.com

بنا منحىً تحكمياً ليصل بين التركة كجزء من مفهوم التراث وبين الاثار أو الشواهد، واذا التراث يصبح عندئذ [مجموعة الاثار التي يخلفها الاسلاف الى الابناء] وبعد جملة تسويفات يضع لنا تعريفه العام عن التراث بصفته [هو مجموعة الاثار التي تمثل عطاء الانسان في مرحلة تأريخية معينة، وفي منطقة معينة مارس عليها الانسان فعالياته المختلفة، مخلفاً انجازاته التي تمثل بالنسبة لنا قيمة تأريخية وحضارية على أساس انها تعكس عطاء الانسان الحضاري في الماضي الذي لاينقطع صلتنا به...] وهكذا يسترسل بنا حتى المبحث الثاني/ لماذا ندرس التراث؟.

أ ـ المعنى اللغوي والاصطلاحي للتراث:

جاء في المعنى اللغوي والدلالي (المصطلح) ان التراث كما في المعاجم اللغوية مشتق من الفعل (ورث) أو هو من (ارث) و (وارث)، وكلها في معنى واحد، بيد ان اللغويين عادة ما يفرقون بين الميراث والأرث) فجعلوا (الميراث في المال). (والارث في الحسب)، ولصداق ذلك ان النبي (ﷺ) بعث ابن مربع الانصاري الى أهل عرفة، فقال: [اثبتوا على مشاعركم هذه فانكم على أرثٍ من ارث ابراهيم (ع)]... ونعلم بان ارث ابراهيم(ع) ليس مالاً ولكنه [نبوة وعلم وهداية]... وفي رأي اكثر أهل اللغة معرفة بأصل التراث وجذرها ان الارث تحتمل المعنيين: (وراثة المال، ووراثة العلم والدين)، وجاء في الكتاب المجيد ما يرشدنا الى هذا «يرثني ويرث من آل يعقوب» [والمراد وراثة النبوة وليس المال]... ومصطلح (تراث) أصله (وارث) فقلبت الواو تاء، فاصبحت ـ تراثاً ـ والتراث ـ بالمعنى الاصطلاحي ـ لم يرد في القرآن الكريم الا مرة واحدة في قوله جل وعلا «وتأكلون التراث أكلاً لمّا» والمراد به [المال ولم يقصد سبحانه العلم والدين]، ولكن مدلول التراث تطور فقصر على ماورث من قيم وعادات وأخلاق وسلوك وحضارات وانجازات علمية وأدبية ومنجزات ثقافية على وجه العموم... ومن المفيد التذكير بان [التراث هو كل ما خلفه السابقون من آداب وعلوم وفنون وهو لايقتصر على زمن معين، لانه ليست هنالك حدود قائمة لتاريخ أي تراث]، وقد عد بعض الكتاب للمعاصرين [ان شعر شوقي وحافظ والرصافي والزهاوي وحديث عيسى ابن هاشم وفكر المازني والعقاد وطه حسين ومصطفى جواد... هو على وجه الدقة جزءاً من تراث الأمة له حرمته وقدسيته ومكانته]...

بدليل ان التراث فكر موصول ممتد الى عصرنا ويومنا ولاشك ان الحواجز والحدود التأريخية والزمانية ـ المكانية قد تلاشت ولم تقف دون وصوله الينا بالرغم من الفواصل المتعددة على صعيد الزمان والمكان أيضا... وقد ذهب آخرون [الى عد الوحي أي القرآن كأساس فعال في مكونات التراث، ولكنه تراث غير خاضع للنقد، أو هو فوق النقد، لأنه كلام الله، وكلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، ولايجوز البته أن يتطرق اليه الفكر الانساني بالتقويم والتعديل والنقد والتكييف والملاءمة ترتيباً على انه فوق ما يجري التراثيون في النقد] اما الحديث النبوي الشريف فما كان حديثاً قدسياً بأمر الدين فهو كالقرآن عزة ومنعة لان صاحبه الرسول عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم «ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى» اما أحاديث الرسول الكريم الأخرى، فهي عرضة للجرح والتعديل، ومطابقة الاسناد والمتن، وقد يتفق على المتن، ويطعن بالاسناد إذا كان الحديث احاد، أو قد يقبل السند، ويرفض المتن لأنه لايتفق مع حكم المطابقة بين المعقول والمنقول؟ ذلك ان بعض وعاظ السلاطين حرفوا متون الاحاديث الشريفة، ووضعوا أحاديث على لسان الرسول (ﷺ) لتوسيع حكم السلاطين والملوك، يقول الشيخ محمد الغزالي [أرفض ان أربط مستقبل الاسلام وأمته تارة بحديث سقوط الذباب في الاناء، وتارة بحديث خلع عين ملك الموت من قبل النبي موسى (ع) عندما زاره ليتزع روحه] ويذهب الى القول أيضا [فهناك أحاديث موضوعة مرت، وأحاديث ضعيفة قوّيت، وأحاديث صحيحة حُرّفت عن موضعها، وسبقت في غير محلها انظر جريدة القبس الكويتية/ العدد ٦٢٦٤ في ١٧/ ١٠/ ١٩٨٩/ ص١٠، وللمقارنة، انظر الدكتور يوسف قاسم/ مبادئ الفقه الاسلامي/ مطبعة النهضة، القاهرة ١٩٨٤/ الاحاديث النبوية واختلاف أئمة المسلمين].

ونترك الكتاب والسنة عند هذا، ونعود الى التراث كرة اخرى تأسيساً على ان التراث يمثل فضلاً عن القيم والمعتقدات جملة النتاج الفكري الانساني، والتراث العلمي العربي والاسلامي هو ما وصلنا بالعربية (اللغة) بصرف النظر عن العرق، [اي ان ما كتب بالعربية تراث عربي، وان كان الكتاب من غير العرب ممن اندمجوا في الثقافة العربية الاسلامية وشعروا بالولاء لها، والانتماء للحضارة] التي حققتها على مر العصور ويضيف الدكتور محمد واصل الظاهر/ ندوة التراث وثقافة

www.dorat-ghawas.com

الأمة/ المجلة العربية للعلوم الانسانية/ جامعة الكويت، العدد ٣٥، المجلد ٩، صيف ١٩٨٩، ص١٩٣ وما يليها [وقد يتنكر بعض ممن أسهموا في الثقافة العربية أو التراث العربي فيما بعد لأسباب سياسية، بعضها شعوبي وبعضها عرقي. . . ولكن يجب أن لايأخذنا اي انفعال لكي نبدل التعريف الخاص بنا، فالفارسي أو الهندي الذي كتب في العلوم العربية هو ضمن التراث العلمي العربي، ومن الصعب جداً ان يكون هناك اي تراث أو حضارة. . نستطيع أن نقول بان الذين كتبوا فيها ينتمون كلهم الى ذلك العرق.

فالحضارة اليونانية مثلاً أسهم فيها يونانيون وأسهم فيها اقوام (آخرون)]، ويعقب على رأي الدكتور واصل جدير الندوة فيؤكد على اهمية الفصل بين مفهوم الثقافة والحضارة ويرى [ان الحضارة في المفهوم الغربي هي الجانب المدني الذي يركز على الاشياء المادية الملموسة بعيداً عن الجوانب النظرية كالروحانيات مثلا أما بالنسبة لنا (كعرب) فان للثقافة جانبين، احدهما جانب مادي معنوي ملموس يتمثل في العلوم، وثانيهما جانب أدبي وهو الذي يهتم بالعلوم النظرية].

ب ـ مكونات التراث:

لم يعرف الأوربيون معنى تواضع عليه الناس ككلمة التراث عدا الاهتمام بالثقافة بصفتها شيئاً منقطعاً قد حدث قبل هذا العصر، وبعد النهضة الأوربية استخدم التراث لابصفته مقوماً أساسياً للنهوض، كشأنه عند العرب، بل انه جملة ما نقله الخلف من السلف وقد استبعدوا الدين والروحانيات، وكرسوا اللفظة على المعطيات المادية حسب، ونزعم بان مكوناته تتعدد بتعدد زوايا التناول والعرض. . . فهو عند الدكتور عبد الله الغنيم [مجمل التاج الانساني لأمة، أو لمجموعة من الشعوب. ويشمل على:ـ

ـ النتاج العلمي ـ النتاج الثقافي ـ القيم والتقاليد. ويعزز رأيه بان القيم والتقاليد تعبير سلوكي يمنح صاحبه أو اهله الهوية والشخصية. . ويذكر ان الاوربيين أفادوا من تراث اليونان والرومان والعرب، ولكن جذورهم لم تكن ممتدة امتداد جذور العرب لافتقارهم الى عنصر التوحيد، وهذا مفهوم آخر يشكل قاعدة لمعنى التراث، وآية ذلك ان التوحيد معطى في العوامل النفسية والحضارية، وهذا المزيج هو الذي يعطي للتراث نكهته الخاصة، وسيرورته التكاملية على شتى الصعد].

اما الدكتور واصل فيرى مكونات التراث:ـ

ـ المعتقدات والعادات والتقاليد كنسيج وحدة.

ـ النتاج الفكري بجميع اشكاله وتعدد مستوياته (تطبيقي ونظري) وعلوم انسانية وطبيعية.

ـ وحدة اللغة والفكر كوعاء ناقل ومتفاعل مع مقومات التراث. وهنا يدخل تفسير القرآن (لا القرآن) كجزء من التراث لأنه يمثل مسألة خلافية، وكل ما يخضع للعقل والاجتهاد بدليل ان [العقل وريث الوحي]. كما يرى المعتزلة [فهو من النتاج الانساني (لا السماوي)]. [وهو بعدئذ جزء من التراث لا يختلف عن العلوم الطبيعية والرياضية والجيولوجية والهندسية والجغرافية وعلوم النبات والحيوان والطب والادب والفنون الأخرى للنتاج الابداعي والابداع الفكري الابتكاري].

ـ ان الثقافة أوسع وأشمل من التراث، لكونها تقوم على ركيزة دينية تغذيها، ومساحة حضارية تستوعبها. . بالاضافة الى ان الثقافة تضم المسلم من أي عرق ولون ولسان، والمعتقد ان التركيز على الثقافة الخاصة مظهر من مظاهر الأنطلق، اذ لاخصوصية في كل ما يخلقه الدين لانه جاء للناس كافة، وفضيلة العرب في الثقافة انها دونت وكتبت بلغتهم العربية، وليس لأنهم انتجوها وحدهم، وكلها ولّده الاسلام فهو ذو أصول مشتركة بين القوميات التي تآلفت في وحدة الدين «انما المؤمنون اخوة»، وآية ثقافة لاتقوم على العقيدة والايمان وروح العلم والقيم والاخلاق الاسلامية ليست من الاسلام في شيء. . . فالثقافة اليونانية كانت حرف مخزون مادي من الأسس المدينة بحجمها الحضاري، والثقافة ـ الحضارة المعاصرة للعربي ليست من نسيجه بل هي مقحمة عليه ومفروضة ـ ولم تكن لتشكل مكونات تراثه للاجيال المقبلة، فالملابس والمعدات الانتاجية والاستهلاكية المعمرة، والكتب والجامعات والمآكل والمشارب من انتاج الآخرين، ويعمد العربي والمسلم على استيرادها بمقابل نقدي باهظ من غير أن ينتجها بعقله، ويصنعها بتصاميمه، ومواراده وخاماته وبأيدي ابنائه. . . وهي ثقافات وحضارة مستوردة تمس الجانب السطحي من حياتنا، ولايتفاعل معها الوعي الشعوري والعقلي ليبدعها ويطورها سواء بالاضافة أو الحذف أو التعديل، واعتقد جازماً بان ذلك كله لايعدو عن ثوب معار واعظم منه خطورة عربي الذات وضياع الهوية الشخصية، وما دام الاجنبي بثقافته وتقانياته وعلومه يشكّل واقعنا لنا من خارج ارادتنا أو رغبتنا، ومادمنا عاجزين عن تشكيل واقعنا بانفسنا، فان الحال تنبئ بشر

www.dorat-ghawas.com

مستطير. . ويكفي ان نلقي نظره سريعة لزمن الهوة الحضارية بيننا وبين الدول المتقدمة، ونكتشف الفجوة التقانية (التكنولوجية) والغذائية والعلمية والاقتصادية، وحالات الانكشاف الاقتصادي والأمني الستراتيجي والجيوستراتيجي ناهيك بالطبيعة التواكلية والاعتماد على ما ينتج الآخرون. . وأبسط دليل نسوقه ههنا ان اللغة العربية المصدر الأساسي للثراء الفكري والنفسي والوجداني (الحضاري والثقافي) لم تدخل الى مجال التدريس كلغة عربية سليمة فصحى امام هجمة العامية، واصرار المعلمين والمدرسين وتدريسي الجامعات على المحاورة والتدريس باللهجات الدارجة العقيم، وغدت الجامعات بحسب توزيعها الجغرافي تخضع للهجة المحلية للمحافظة التي تتواطن فيها، فابن البصرة يتحدث بلهجة البصرة العامية في قاعة الدرس ـ الجامعي، وفي الموصل، وبغداد، وصلاح الدين. . الخ . . . حتى أن التدريسي الذي يتحدث بالفصحى يتعرض الى المضايقة والتجريح والتشنيع من قبل زملائه واقرانه. . وعلى الرغم من اصدار قانون للحفاظ على اللغة وسلامتها، الا ان اللغة ما زالت في واد وأهل العلم والثقافة في واد آخر سواء على صعيد المدارس والجامعات، أو الصحف والمجلات ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة. . . وقد بح صوت أهل الخير ومحبي اللغة من لفت النظر الى فشو اللحن والعجمة واستشراء الاغلاط في كل ما يكتب الباحثون والكتاب عبر ذلك الادباء الذين انساقوا وراء ما ابتدعه (سلفاً) رجال الصحافة، وارتجلوه غثاً وضغثاً من ابالة وأحسب بكل وعي بان الفصل بين اللغة والدين هو سبب هذه الكارثة التي تعصف بنا. [لان اللغة الدين يعدان أهم أعمدة توحيد الأمة]. . . واذا كان التعريب مطلباً قومياً ودينياً وحضارياً، فان مؤسسات التعريب ما زالت قاصرة، يله عاجزة عن مواكبة الجديد واضافته الى لغتنا بكل ما فيها من حيوية وتجدد وأصالة، وبكل قدراتها العجيبة ثم الاشتقاق والتوليد والنحت. . . أما في مجال الترجمة، فان ما ترجم من الكتب يمثل أقصى درجات الركاكة والأسفاف، لعدم خضوع الترجمة لخطة علمية دقيقة. . تعنى بالفكر المنقول للعربية ومدى حاجتنا اليه في الأدب بكل فنونه، والفن بكل مستوياته، والعلم بكل فروعه، ويسعفني الدكتور عبد الله الغنيم بقوله [وللأسف فان معظم الكتب التي ترجمت في مجال العلوم بصورة خاصة هي اكثر الكتب ركاكة واستغفالاً للقارئ واستغلاقاً على فهمه (حتى المثقف والمتخصص) خلافاً لما كانت عليه الحال ايام (ابن رستة) وليس هناك توجه واضح المعالم كما فعل المأمون على سبيل العلوم المثال في دار الحكمة]. . وهذا القول جد صحيح فان واقعنا التأريخي العربي الاسلامي يشير الى ان في اكثر عصورنا انحطاطاً (في المجال السياسي العصر المملوكي) نرى ان الثقافة أزدهرت دلالة على حيوية اللغة وتجددها وخصبها المولد للفكر والثقافة، [ولولا الاقصاء الفكري لعوامل سياسية، ولولا غلق باب الاجتهاد لكنا في حال غير حالنا اليوم] وهي حال لاتبشر بانفراج قريب على المثاقفة الواعية كما فعل السلف الصالح، او المصاهره الواعية وحوار الحضارات. . . اذ كل ما نفعله مجرد مزايدات وزخرف من القول/ مقالنا عن القريب وشخصية الأمة العربية/ آفاق عربية، العدد ٢، شباط ١٩٨٥]. واختم ملاحظاتي هنا بالتوكيد على ما فعله الاسكندر الكبير الذي احتل بعض مناطق الشرق الأوسط، وكان يرافقه خلالها ـ اقليدس ـ صاحب كتاب (أصول الهندسة)، وقد أمكن لهذا الغازي أن ينهب من مكتبات بابل كل تراثها العلمي الرائع في الرياضيات، فدرسه ونقله الى اليونان، وعنى بترجمته اقليدس، ومثلما فعل بالتراث البابلي، فقد سرق مكتبات مملكة آشور. وفي الحروب الصليبية جرى ما جرى في حين دمر المغول والتتار كل مقومات الحضارة العربية والاسلامية في غمرة لهو الحكام والسلاطين وانغماسهم بالترف والاسراف وقصور الحريم بعيداً عن هموم الناس. . . الخ.

٢ ـ الغريزة والعقل في الانسان/ المبحث الثاني، ص٤٠ وما بعدها.

يقول الكاتب رحمه الله [الانسان كائن اجتماعي متطور من ناحيتين، الناحية السلوكية بفضل استخدامه العقل من أجل البناء دون الغريزة. . . بينما ضعفت الغريزة عند الانسان وحل العقل محركاً ودافعاً للعمل. . .].

ان قول الفقيد لو أخذ على علاته فهو صحيح لاشك في ذلك لكن تحليل مفاهيم الكاتب تتجافى مع الأساس العلمي لنفي الغريزة عن الانسان أو ضعفها، ولا نختلف مع الكاتب أن الغريزة قاسم مشترك بين الانسان العاقل والكائنات الحية من الجمادات، وان ميزة العقل هي التي خصت الانسان بالتكليف والاستخلاف في الأرض. . وفي الكتاب العزيز ثم آيات تشير الى أهمية العقل وعلاقة هذا العقل بالعلم والمعرفة واستعمار الأرض واستغلال مواردها ومنافعها من الطيبات، وقد جاءت

www.dorat-ghawas.com

مفردات قرآنية تخص الحواس مجازاً، لكنها تعني العقل حقيقة، فالعين، والأذن، واللسان، والانف، والجلد ليست مراكز للقرارات، بل هي نهايات طرفية لاتكاد تختلف عنها الصورة المستنسخة للنهايات الطرفية في الحاسوب الآلي (Terminal Ends) والغاية منها عملية الادخال (Input) لا الاحساس، لان الاحساس مركزه في العقل وواسطته شبكة واسعة من الاعصاب الحسية التي تنقل الاوامر والايعازات وردود الافعال الموازنة للافعال، وهذه الايعازات والأوامر وردود الافعال تدعى الاخراج (المخرجات Output) وهي كما قلنا تمثلة عملياً في جهاز الحاسوب مدخلات ← عمليات = العقل ← مخرجات ← وما تبقى يخزن في العقل الواعي ثم اللاواعي، أو في ذاكرة الحاسوب، وقد ركز القرآن على الجانب الغريزي لانه مقياس للفطرة التي جبل عليها الانسان، فالغريزة أو العقل الغريزي متقدم على العقل المكتسب، ويمكن استحضار ذلك من تقديم القرآن لحاسة السمع على البصر، والبصر على الفؤاد (العقل)، بدلالة النشاط الوظيفي للسمع المتقدم على وظائف الحواس الأخرى، وعلى وظيفة العقل، الذي يأخذ باكتساب المعرفة البسيطة من نطاقها الحسي (ما تنقله الحواس) وصولاً الى المعرفة العلمية التطبيقية (على أساس العلم التجريبي). . ويمكن أن نستشهد باقوال مفكر من رواد علماء العرب المسلمين؟

اذ يقول ابن الماوردي [واعلم ان العقل المكتسب لاينفك عن العقل الغريزي لانه نتيجة منه]، ويضيف [وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل، موفور الرذائل كالأنوك (الاحمق) الذي لاتجد له فضيلة]

رأيت العقل عقلين ... فمسموعٌ ومطبوعُ
مكتسب ... فطري
ولاينفع مسموعٌ ... اذا لم يك مطبوع
كما لاتنفعُ الشمسُ ... وضوء العين. . ممنوع

أي ان العقل الغريزي الموروث ينبغي له من وجود عقل مكتسب مستوحى من المحيط أو البيئة، ليكون معبراً عن خواصها وخائصها المتعددة وحاجاتها العديدة، ومتوافقاً مع ديناميتها المتحركة، وبخلاف ذلك فان العقل الغريزي اذا ظل على حاله منفرداً، فلا يخرج عن القوى المحركة للبهائم في الفعل ورد الفعل، أو ان اهمها علفها وسفادها الأمر الذي يقتضي الموازنة بين العقلين في الخاص والعام ومصداق ذلك ان الغريزي يمثل كابحاً للمكتسب الجموح في الوقت الذي يشكل المكتسب سياقاً حركياً منظماً فمن دائرة الانسياق النفسي ـ العقلي ـ الجثماني.

وكل من أخطأته في موالده ... غريزة العقل حاكي البهم في الحسب
وان يك العقل مولوداً فلست أرى ... ذا العقل مستغنياً عن حادث الأدب
اني رأيتها كالماء مختلطاً ... بالترب تظهر منه زهرة العشب

وإتساقاً مع هذا الرأي (للماوردي / أدب الدنيا والدين). [نقلاً عن/ جمال حسين الألوسي/ الاسس النفسية لآراء الماوردي التربوية/ ط١، مطبعة بغداد، بغداد ١٩٨٨، ص٣٢ وما بعدها] نستعين بآراء كاتب معاصر هو الشيخ محمد المظفر في كتابه (المنطق، مطبعة حسام، بغداد ١٩٨٢، ص١٢ وما بعدها) [مثلنا ان الله تعالى خلق الانسان مفطوراً على التفكير مستعداً لتحصيل المعارف بما أعطي من قوة عاقلة مفكرة يمتاز بها عن العجماوات. . فاذا ولد الانسان يولد وهو خالي النفس من كل فكرة وعلم فعلي سوى هذا الاستعداد الفطري، فاذا نشأ واصبح يسمع وينظر ويذوق ويشم ويلمس تراه يحس بما حوله من الاشياء ويتأثر بها التأثر المناسب فتنفعل نفسه بها. . . وتصبح مشغولة بحالة جديدة نسميها (العلم) وهي العلم الحسي. . . وهذا أول درجات العلم، وهو رأس المال لجميع العلوم، أو هو بهذا مشترك في علمه الحسي مع سائر الحيوانات] وهذا رأي الاستاذ الدكتور أزهر السماك وجماعته في كتابه/ اصول البحث العلمي/ مطابع جامعة الموصل، ط١، ١٩٨٢، ص١٢ ـ ١٨) ولاسيما ازاء تركيزه على ان المعرفة الحسية هي أصل العلوم التي نعرفها اليوم. . . ولنبسط الصورة للضرورة، فنعمد الى الاستشهاد ببيت شعر للبحتري يصف ذئباً تعرض له في البادية فقيمة دلالات عميقة مرت على الناس مروراً كريماً، ولم يفصحوا المعنى العلمي ـ الحسي بالاشارة الى ان الضوء أسرع من الصوت كحقيقة علمية أثبتت في عصرنا الراهن. . وقد يكون البحتري نفسه استشعرها حسياً، ولم يعها فكريا:

عوى ثم أقعى فارتجزت منهجه
↓ ↓
سماع نظر
فاقبل مثل البرق يتبعه الرعدُ
↓
المقارنة المماثلة ضوء/ عين ⟷ صوت/ أذن

ويضيف المظفر [ثم تترقى مدارك الطفل فيتصرف ذهنه في

www.dorat-ghawas.com

صور المحسوسات المحفوظة عنده فينسب بعضها الى بعض، هذا أطول من ذلك وهذا ضوء، وتلك ظلمة، ويؤلف بعضها من بعض تأليفا قد لايكون له وجود في الخارج كتأليفه صور الاشياء التي سمع بها ولا يراها... ويسمى هذا [العلم الخيالي].. يحصل عليه الانسان بقوة الخيال، وقد تشاركه بعض الحيوانات]. [ثم يتوسع في ادراكه الى اكثر من المحسوسات فيدرك المعاني الجزئية التي لامادة لها ولا مقدار. مثل حب أبويه له، وعداوة مبغضيه...

وهذا هو (العلم الوهمي) يحصل عليه الانسان كغيره من الحيوانات بقوة (الوهم)، وهي (هذه القوة) موضع الافتراق بين الانسان والحيوان فيترك الحيوان يدير ادراكاته بالوهم فقط ويصرفها بما يستطيعه من هذه القوة والحول المحدود... ثم يذهب ـ الانسان ـ في طريقه متميزاً عن الحيوان بقوة العقل والتفكير التي لاحد لها ولانهاية فيدير بها دفة مدركاته الحسية والخيالية والوهمية، ويميز الصحيح منها عن الفاسد، وينتزع المعاني الكلية من الجزئيات التي ادركها فيتعقلها، ويقيس بعضها على بعض، وينتقل من معلوم الى آخر ويستنتج ويحكم ويتصرف ماشاءت له قدرته العقلية والفكرية وهذا هو (العلم)]..

ولاشك فان العلم مستويات ودرجات، ويختلف بحسب اختلاف الفروق الفردية عند الافراد او اختلاف الاستعداد الفطري ـ الغريزي ـ من الذكاء والفطنة والنباهة وقوة الحافظة وسرعة الاستجابة...، ويقاس مفهوم العلم على انه [حضور صورة الشيْ في العقل أو انطباعها في العقل].

والجدير بالاشارة قبل أن اختم ملاحظي التعقيبة ان التراث مسألة أساسية في وجدان الأمة، وحالة حسية في وعيها التأريخي وذاكرتها الاستطلاعية.. بيد أن المهم أن يفرق كيف نفيد من هذا التراث تنخلاً، وتحقيقاً، واستصفاء..

فهل يكفي ان نقول اننا سبقنا أوربا الجاهلة بعلومنا وحضارتنا في العصور الأسلامية الزاهرة، ونحن اليوم نعيش عالة على أوربا من الابرة الى الصاروخ.. ومن حبة القمح الى الثوب والسرير الذي ننام عليه والدواء الذي نعالج أمراضنا العضوية والنفسية والعقلية به..؟؟؟ رحم الله الرصافي القائل:

فشر العالمين ذوو خمول اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

لقد قرأت لعلماء الاجتماع العرب عبارات تُمسد صداع الرأس وهي تشيد بتفوق العقل الخلدوني على (أوكست كونت) و (هنري سبنسر) و (دوركهايم) في علوم الاجتماع أو العمران البشري، لكنني لم أقرأ لعالم اجتماع عربي أنه أضاف جديداً لهذا العلم أو فند اراء مخطوءة، أو دحض نظرية قائمة سواء بالتعديل أو الحذف و الاضافة... وقس على علماء الطبيعيات والرياضيات والعلوم الانسانية في الادارة والاقتصاد والمدارس النقدية في الأدب.. الكل يعظم التراث وهذا حق وواجب مقدس، لكن هذا الكل ماذا أضاف على التراث؟ وما أفاد منه؟ وما اسقط؟ وأين مواقع هذا الكل في عصر الابداع والابتكار وثورة العلوم والمعلومات والتقنيات باجيالها المعقدة...؟؟.

لقد اجتهدت ما وسعني الجهد أن أبحث عن طريق يعز التليد، وعن جديد أصيل يضاف الى خزين السلف المؤثل بالأصالة فلم أجد الا أكواماً من كتب ونشرات وبحوث تجتر كتابات الآخرين، وتلوك ما أشبعه الاخرون لوكاً ومضغاً حتى ملوّه ولفظوه، ولم اجد باحثاً في أي مجال علمي، أو فكري أو ثقافي أو أدبي يقول أنا أين جلا وطلاع الثنايا.. فالجميع مجمعون على الاقتباس المعيب حد السرقة، أو التجميع الشائن، الى درجة الفقر والارقاع العقلي والنفسي والافلاس الثقافي والحضاري وكلنا في الجهل مشرق.. يا سبحان الله!!!.

معذرة للقارئ العزيز من هذا الاطناب أو الاسترسال، فقد أردت به اتمام الفائدة وتحية الكاتب الفقيد، وترحماً على روحه الطاهرة وتذكيراً بان من مات جسداً، لابد أن يبقى حياً بعلمه وفكره بيننا من خلال أحياء جهوده والتنويه بها، وان كان هذا الاحياء يحمل كل معاني الاختلاف.. فاختلاف الرأي لايفسد للود قضيته، والرائد لايكذب أهله وهذي

وهذي وأيم الله سنة حالنا ندوس على الاحياء دوماً تعنتا
ونحترم الأموات ذكرى كأنما حضارتنا أن نكرم الحق ميتا

مع خالص احترامي وتقديري لأسرة تحرير مجلة المورد التراثية الغراء.. وعلى الله قصد السبيل، وهو المستعان.

● التركة: أهم موضوعات الميراث لأنها أحد اركانه، جاء في شرح الترتيب للشنشوري ط١، ص١٠ [أركان الميراث ثلاثة ورث، ووارث، وحق. والوارث هو التركة].. والتركة تشمل الاموال والمنافع والحقوق عند بعض الفقهاء كالشافعية والحنابلة والامامية والزيدية، ولاتشمل الا بعضها عند بعضهم الآخر كالحنفية، انظر: الشيخ محمد عبد الرحيم الكشاكي/ التركة وما يتعلق بها من الحقوق/ ط١، دار النذير للطباعة والنشر، المكان وسنة الطبعة غير مدونين، ص٤٤-٤٥، ص٥٦ ص٧٣.

www.dorat-ghawas.com